الوحـــــدة العربيـــة والاقليات القوميـــة

الشهيد الشريف الهندي[1] من الشخصيات البارزة التي اذا رآها احدنا لايمكن ان ينساها، لقاؤنا كان لمرة واحدة ولكنه ترك اثراً عميقاً في نفسي، واقدر انه هو نفس الاثر الذي لدى كل من عرف شخصية المرحوم الشريف الهندي.. مزايا بارزة ومن الصعب تعويضها، ولكن من المفيد دوماً ان نتذكر هذه المزايا التي كان لها فضل كبير بابراز قضية القطر السوداني وفي وضع القضية السودانية بمكانها الطبيعي ضمن مسار القضية العربية ككل في علاقتها العضوية والحية والتاريخية بنهضة الامة العربية الحديثة.

هذا ما يجدر بنا جميعاً، بالقادة والمناضلين في السودان، ان يحرصوا عليه.. على المستوى الذي وضع الشهيد قضية السودان فيه، فلا يجوز مطلقاً ان ينخفض هذا المستوى أو ينحرف بشكل من الاشكال في ناحيتين جوهريتين، فهي قضية شعبية ـ قضية شعب وجماهير ـ وهي قضية امة، أو قطر هو جزء من وطن كبير ومن امة كبيرة لها قضية كبيرة.

الطريق مازال طويلاً وصعباً ولكن نشعر كما يشعر المناضلون في كل مكان بالثقة بانه باذن الله سنصل الى تحقيق الاهداف، عندنا يقين، شعور باليقين، لان قضيتنا عادلة وتاريخنا مليء بالحوافز والملهمات وبالدوافع النبيلة، ومرآى التردي والتمزق والانكسار مؤلم ولكن لايضعضع الايمان بل يعززه ويقويه، بل نشعر باننا نقترب اكثر فاكثر من تحقيق اهدافنا، من ملامسة حقيقتنا، حقيقة الامة، حقيقة الانسان العربي المتحفز

---

(١) من حوار مع وفد الحزب الديمقراطي السوداني في ١٦/ ١٢/١٩٨٢.

الى التجدد والى الانبعاث بكامل إنسانيته، فالذي تحقق في القطر العراقي يمكن ان يؤخذ كنموذج للتطبيق الصادق المخلص والمبدع ايضاً، للفكر القومي الجديد. ويمكن ان يكون دليلاً جديداً بعد مئات الادلة على ان شعبنا العربي في كل اجزاء الوطن الكبير مهيأ للعطاء، مهيأ للتجاوب مع اعلى مستويات الثورة والنضال والخلق والبناء عندما يُخاطب بصدق، عندما تتوفر القيادة الشجاعة والواعية وتلامس اعماقه، تحس وجدانه، وعندها لايكون لعطائه حدود ويعبر عن حبه للحياة بالاستشهاد وبالتضحية بدون حساب، كما يعبر عنها في مجالات اخرى، فالمعركة هذه ايضاً ترجعنا الى ذكرى الشهيد فقيدنا الغالي الشريف الهندي، بانه كان من اوائل المتجاوبين معها والفاهمين لحقيقتها ولاغراضها ولمعانيها، وقد سمعت له حديثاً في التلفزيون ولم اتمالك من إظهار اعجابي، لهذا الكلام الملهم، لهذه النظرة العميقة، لهذه السجية الصافية، ولم اكن بعد قد التقيت بالاخ الفقيد.

معركة العراق امتحان واختبار لمستوى من النفوس وعظمة النفس وعمق الوعي، وصفاء النظرة، لانها ليست كالمعارك التقليدية والمألوفة، تبقى لامد طويل صعبة الفهم الا على الذين يعيشون في داخلها، ويعيشونها ويتفاعلون معها، ولعلها الان اصبحت مفهومة الى حد جيد من الاخوة العرب في ديارهم البعيدة، مع ذلك هي فعلاً من النوع الذي يتحدى الاشياء التقليدية، يتحدى الفكر، وتتطلب استعداداً للنظرة الجديدة والعميقة، فهي دفاعية واخذت شكل الهجوم، وهي قومية واخذت شكل القطر أو قضية قطر، وفيها اشكالات استُغلت من الاعداء ومن المنافسين والذين لايرتاحون لظهور حالة صحية، حالة قوة وعافية وتقدم حقيقي في اي جزء من اجزاء الوطن العربي، لتطفىء الشعلة التي ظهرت في العراق، وليجعلوا من هذه الحرب مأساة جديدة وكبيرة تضاف الى مآسي الامة العربية في هذا العصر، لان المخطط كان يريد شراً بالعراق كان يمكن ان يؤدي الى انهيار عام والى يأس شامل لو ان الاعداء يستطيعون ان يحققوا كل اغراضهم ولكن هذا ضد الطبيعة، ضد طبيعة الاشياء، والحمد لله ان عوامل الصدق والقوة الصادقة ظهرت، تجلت، اعلنت عن وجودها من خلال هذا الامتحان القاسي، من خلال نيران الحرب لمع الجوهر وتألق ولانعتبر ذلك

الا بداية موفقة لتجربة تستلهم روح الامة، وتستلهم حاجات الشعب العربي في هذا العصر وتعطشه الى الحياة الجديدة، الى البناء، الى التقدم والمساهمة في الحضارة العالمية.

وقد وجدنا في شعبنا العربي في السودان تجاوباً لم نفاجأ به، ولكننا قدرناه عظيم التقدير، ونعرف بان النظام اراد ان يحسن سمعته بتبني قضية عبر عنها الشعب قبل النظام وكانت تعبيراً عفوياً وطبيعياً عن عروبة السودان من جهة، وعن وعيه الجديد، عن المستوى الجديد من الوعي القومي والاجتماعي الذي بلغته الطلائع الوطنية الثورية في القطر السوداني.

حالة الامة العربية فيها نواحي تدمي القلب، ويكفي ما شاهدناه في هذا الصيف الرهيب الذي مرّ من الهجمة الاستعمارية الصهيونية الجديدة، ولكن نحن مؤمنون بان امتنا هي الاصل والاعداء هم دخلاء لايمكن ان يكون لهم جذور في ارضنا، امتنا قادرة دوماً ان تحول الهزائم والمآسي الى دروس والى فوائد تضاف الى تجربتها في سبيل تمتين اسس النهضة، وان الاعداء مهما حاولوا فوجودهم مؤقت وعملهم سيبقى على السطح، ونقول باننا مع حرصنا على ان لانضيع ولو جزءاً بسيطاً من الوقت لكن نقول قد يكون في هذه المآسي فائدة لاننا مازلنا بحاجة الى تعميق وعينا، الى انضاج تجربتنا، الى اتقان وسائلنا، الى بلوغ شمولية اكثر في تخطيطنا للنضال وفي توحيد نضالنا، فان هذه النكسات المؤقتة تكون مناسبة للمراجعة وللنقد الذاتي ولتجديد الفكر وتجديد الحيوية واستئناف السير بهمة اكبر، وبنظرة اصلب.

ان المنطلق لحل مشكلة الاقليات هو منطلق واحد لايتغير هو انسانية قوميتنا العربية، المنطلق بان قوميتنا ليست هي القومية المتعصبة، ليست هي القومية الضيقة، ليست هي القومية المستعلية والهادفة الى التوسع والى استعباد الاخرين، قوميتنا امتزجت بروح الاسلام، الاسلام هو من روح العروبة ايضاً، فاذن نحن نؤمن باننا اقدر من اية امة على حل مشكلة الاقليات، منطلقين من هذه الروح، من تراثنا، من مراعاة واقعنا ومصلحتنا القومية، مصلحتنا هي في التآخي وليست في ابقاء عوامل وأسباب للتناحر الداخلي ولترك ثغرات يستغلها الاعداء في داخل بنياننا القومي،

الاشارة الى الفروق تعني ان كل قطر لابد ان يأخذ بعين الاعتبار واقعه الحي ويحاول ان يجد الحل الملائم، ليس هناك شيء جاهز يطبق حرفياً في كل مكان.

الاكراد شعب شارك الامة العربية من قرون عديدة، توحد معها في الاسلام وشارك في معاركها القومية المصيرية ورد الغزوات الصليبية، وغزوات التتار، فهذا التمازج، هذه المشاركة، هذا اللقاء هو الاساس. ماذا يطلب الاكراد؟ التحرر وتوحيد شعبهم وتحقيق شخصيتهم القومية، اذا كانوا ينشدون التحرر فالامة العربية هي في معركة تحرر كبرى، هي اهم معارك هذا العصر فليس من المعقول ان تتناقض حركتهم للتحرر مع حركة الامة العربية وانما العكس هو الصحيح، الانسجام والتعاون والتحالف ضد العدو المشترك، ضد الاستعمار، ضد كل اعداء الشعوب واعداء حرية الشعوب والمستغلين لتخلف الشعوب، شعوب العالم الثالث ولتجزئتها، هل وحد الاكراد شعبهم ولم يَبْقَ غير القسم الموجود في العراق؟ ام انهم بعددهم الاكبر موجودون خارج العراق وتحت ظروف قمعية وظروف لاتسمح لهم أو تعترف لهم بأية حرية أو بأية مقومات خاصة، فاذن الحزب خاطبهم باللغة الصريحة الواضحة بانه لايمكن الا ان نكون نحن واياكم في صف واحد ضد الاستعمار، لايمكن الا ان نكون نحن واياكم في صف واحد ضد الاوضاع الرجعية الداخلية، ضد الحكم الاقطاعي، ضد اوضاع التخلف، انتم ايضاً في حالة نضال للتحرر ونحن كذلك نبني تجربة ثورية ضد الاوضاع الجائرة والمتخلفة، فان ما يطلبون من تحقيق لشخصيتهم في وضعهم في العراق اعطي لهم، لغتهم، تقاليدهم، شؤونهم الادارية، ولكن هل يمكن لهذا الجزء الذي هو اصغر الاجزاء ـ هم في ايران اكثر عدداً بضعف أو اكثر، وفي تركيا كذلك، هل لهذا الجزء الذي يضم مليونين أو ثلاثة ملايين، هل يكون في مأمن من مؤآمرات الدول الكبرى والدول الاجنبية المعادية للامة العربية، عندما يستقل، بمعنى ينفصل عن العراق؟

ناخذ الواقع الذي كان قبل الاتفاق مع الاكراد. القيادة التي كانت قيادة اقطاعية متخلفة، فهي باسم التحرر الوطني للاكراد كانت تتستر وتعمل على الانفصال ضمن مخططات الاستعمار والصهيونية واسرائيل. فالتعاون مع اسرائيل ومع القوى

الاستعمارية والامبريالية كان صريحاً ولم يكن فيه أي لبس، هذا ما فعله البرزاني في الطور الذي كان فيه زعيماً للحركة، الانحراف لدرجة الخيانة، باسم تحرير هذا العدد القليل، يجري التحالف مع اعداء الشعوب كلها. ان هذا الخطر قد أزيل وصارت هناك تجربة نموذجية للحل في العراق، وجاءت الظروف وساعدت على تعميقها ايضاً، ومازال المجال أمامها لمزيد من التعميق والتفاعل، فمثلما أن هذا الجزء من الشعب الكردي مازال عليه ان ينتظر تحرر الاجزاء الاخرى وعندها يفكر في الوحدة، كذلك، فإن امام العراق ايضاً مهمة ان يساهم في معركة التحرير العربية وان يتوحد مع الاقطار الاخرى، واثناء هذه المسيرة نكون قد وضعنا بعض افكارنا موضع التطبيق وعلى محك التجربة بان نظرتنا الى الشعوب الاخرى وخاصة الى الشعوب التي بيننا وبينها اشتراك في التاريخ، اشتراك في القيم الروحية، اشتراك في الثقافة، اشتراك في المصلحة، ان تكون علاقة قائمة على الاحترام لشخصيتهم وفيها ايضاً انسجام مع اهداف تجمع الجميع، وتؤمن مصلحة الجميع، ونحن لو انطلقنا في خيالنا الى المستقبل الذي تكون فيه الامة العربية قد تحررت وتوحدت، هل يضيرنا ان يكون هناك شعب كردي مؤلف من عشرة ملايين او اكثر، وان يكون بمثابة الاخ والشقيق للامة العربية، وان يكون هناك تعاون وان يكون هناك تفاعل، نحن كعرب نساعد على تحريرهم، نساعد اخوتنا الاكراد على متابعة تحرير اجزاء وطنهم وشعبهم وتوحيده ولكن ضمن اهداف مشتركة، ضمن اهداف ومصلحة مشتركة ما دام هناك استعمار وهناك اطماع عند الاقوياء لاستغلال الاقل قوة منهم.

بالنسبة لجنوب السودان انتم أعرف، انا فقط بينت الاشياء الايجابية التي تبرز العمق التاريخي والتواصل والاستمرار والحضور الراهن للعلاقة الاخوية ما بين العرب والاكراد، لكن ليس معنى ذلك انه مع جنوب السودان ليس هناك مجال للالتقاء والتفاهم، فالاستعداد الدائم عندنا لاستيعاب الخصوصيات ولفهم وضع كل أقليه، واحترام شخصيتها، هو من قيمنا الاساسية، من القيم الداخلة في قوميتنا وفي تراثنا، وبما تقتضيه المصلحة المشتركة.

من المهم ان نعمل دوماً في افق تاريخي، وبقناعتي ان النظرة البعيدة التاريخية

تعطينا وسائل اوفر ومرونة اكثر وصواباً في العمل، في الممارسة، لأن ننظر الى المستقبل الذي تتحقق فيه الوحدة العربية، الوحدة العربية بتقديرنا ستغير وجه العالم، هي ليست فقط خيراً لابنائها، للعرب، وانما ستكون عنصراً جديداً وحاسماً في تغيير اشياء كثيرة لمصلحة الحرية، لمصلحة العدالة، لمصلحة السلام بين الشعوب، فنحن الان في حالة تمزق وتجزئة منكرة ودول العالم الثالث تتطلع الينا، تنظر الى العرب والى الامة العربية التي لم تتحقق في كيان سياسي، مع ذلك هناك اعتراف ضمني بانها هي الملاذ، هي الجديرة بان تقود، فما بالنا عندما نزداد قرباً من تحقيق اهدافنا، تحقيق الوحدة والنهضة، لان الوحدة لن تتحقق الا بالنهضة في وجه الاستعباد وفي وجه الاستغلال.

فالاقليات اذن مع هذا التدرج في طريق الوحدة ستتحرر من اللعب الاستعماري فيها ومن تحريضها، وتستقل في تفكيرها وفي رؤية مصلحتها الحقيقية في ان تكون شريكة، وليس محكومة، وانما شريكة لهذه الامة التي أهّلها التاريخ لان تكون ذات وزن عالمي كبير. . والسلام عليكم. .

١٦ كانون الاول ١٩٨٢